فقيدة الفضيلة والتقوى والاحسان ، المرحومة المبرورة

ثريا صيدناوي

قال سليمان الحكيم « المرأة الصالحة جوهرة كريمة ثمنها يفوق اللآلي . ولكن أين نجدها ؟ ولو رأى سيدنا سليمان المرحومة ثريا صيدناوي وما كانت متحلية به من الفضائل والكمالات وما اتصف به فؤادها من العطف والحنان على المنكوبين والمصابين من بني الانسان لقال لا محالة : اننا وجدنا المرأة الصالحة المنشودة . فقد كانت رحمها الله من فضليات النساء اللاتي اشتهرن بالتقوى والطهارة والفضيلة وفعل البر والخير حتى لقبها الناس بحق ام الفقراء . وهاهي الجمعيات الخيرية

والمعاهد العلمية تشهد بفضلها ومكارمها ومبراتها العديدة وفوق هذا وذاك فقد انجبت نجلا كريما وكريمات فاضلات تضرب الامثال بتربيتهم العالية وآدابهم الفاضلة ونسجهم على منوال والدتهم في رقة الشعور والفضل والاحسان

سافرت رحمها الله الى اوربا حيث وافتها المنية في باريس يوم ٢٤ يونيو الماضي وكان لنعيها رنة أسف وحزن أدمت القلوب وجيء بجثمانها الى مصر لتستظل بظل الراحة الابدية في مدفن أسرتها الكريمة

فلم تكد الساعة الرابعة بعد الظهر تنتصف حتى امتلأت كاتدرائية الروم الكاثوليك بالفجاءة على رحبها بالوافدين من سراة مصر واكابر ذوي المقامات فيها ومن اعيان البلاد المحبين لآل صيدناوي الكرام فتولى الصلاة على روحها سيادة العلامة النائب البطريركي للطائفة المطران انطونيوس فرج في لفيف الاباء الاجلاء التابعين لابرشيته ومع مشاركة اصحاب النيافة الاحبار الاجلاء القاصد الرسولي ويوليوس قليان مطران السريان الكاثوليك ونيافة الحبر المفضال السيد بطرس عزيز مطران الكلدان الكاثوليك وسائر المحترمين رجال الاكليروس الكاثوليكي على اختلاف الطوائف

وفي الساعة الخامسة سار المشهد من الكنيسة في جلالة ومهابة تتقدمه تلميذات مدارس الجمعيات الخيرية ومدارس الراهبات والمشغل الكاثوليكي فعدد ينيف على المائة من الاكاليل التي بعث بها اصدقاء الاسرة فبساطان للرحمة يحملها نحو عشرة من علية القوم بين وزير وشيخ وتاجر ووجيه فالسادة الاساقفة ولفيف الاكليروس فالنعش في عربة ساذجة خالية من الزينة تجرها ستة جياد موشحة بالسواد فجماهير الاهل والاصدقاء منكسي الرؤوس مكتئبين باكين اسفا على تلك الفقيدة الرفيعة القدر . فلما بلغ المشهد ميدان الاوبرا استقل المشيعون المركبات واستؤنف السير الى مدفن الاسرة في مصر العتيقة حتى اذا أتت اللحظة الرهيبة لحظة الوداع الذي لا لقاء بعده ظهر شاعر القطرين خليل مطران بك بجانب الضريح والقى كلمات نثرية موجزة قال فيها ما محصله انه وان كان مريضاً لا تنهض به صحته لوقوف مثل هذا الموقف لكنه اكبر الخطب في تلك الفقيدة

المنقطعة النظير اكبار العارف بقدرها المستصغر لكل تضحية في سبيل اكرامها بما هو حقها . ثم اخذ يعدد مناقب تلك الراحلة التي كانت فريدة عصرها بتقواها ومروءتها واحسانها وعطفها على الفقراء واشتغالها الذي لم ينقطع يوماً واحداً ولا ساعة واحدة بتخفيف آلام المصابين وشفاء المرضى وتربية البنات والبنين من الفقراء وتعليمهم ومساعدة المشاغل والملاجيء والمدارس الطائفية والاجنبية والاهتمام باصلاح حال الكنائس وحضور المجتمعات التي يكون فيها خير الامة في مجموعها او لبعض طوائفها المستضعفة فكانت فضائلها ومآثرها تتعدد تعدد ساعات حياتها. فتفقد تلك العقيلة الفاضلة النبيلة الكاملة انما هو مصاب لم يخص آل صيدناوي بل شمل الامة باسرها . وحسبها قرباً من الله ورضواناً عنده انها في بضع السنوات الاخيرة من حياتها عانت من آلام العلة التي افضت الى موتها اشد ما يعانيه انسان صبور فكان تجلدها لأمر ربها وقبولها المحنة النازلة من لدنه واهتمامها في كل لحظة صادفتها فيها الاوجاع باعمالها الخيرية المتعددة كان كل ذلك نوعاً من الشهادة التي جعلت لها في جنان الخلد مكاناً عليا وانزلتها من نعمة الكريم الذي ابتلاها منزلاً مرضياً

ثم اخذ الشاعر يتلو بصوت حزين وقلب باك مرثية صور بها الفقيدة اصدق تصوير . وهذا نصها :

مرثية مطران

عادت الى منزلها في العلى ... تأبى الثريا في الثرى منزلا
انسية من ملكات الندى ... كانت مثال الرحمة الامثلا
اخلاقها من شاء تعدادها ... عد المروءات بها اولا
آدابها كالنسمات التي ... تحيي وتهدي عبقاً مشملا
ألفاظها كالدر او دونها ... مواقع الدر اذا سلسلا
تقول ما يحسن لا غيره ... تعمل ما يجمل ان يعملا
أن حدثت اروت ظماء النهى ... من منهل يا طيبه منهلا